تحليل تقويمي لترجمة إيديولوجية
الخطاب العسكري الاستعماري الفرنسي إلى اللغة العربية

الدكتورة فيلالي فريال
رئيسة الأكاديمية الجزائرية للترجمة

الملخّص:

نحلل في هذه الدراسة مدونة من الخطاب العسكري وفق تقنيات الترجمة ل:"فينيه وداربلني" وسنتقيد بالاقتراض والحرفية ولذلك سنقابل الأصل بالترجمة والتقنيات التي استعملها المترجم في النقل ثم نجري النقد مركزين على خيار المترجم.

سننتقل في المرحلة الأخيرة إلى تطبيق منهج تحليل الخطاب في تعيين السياق التاريخي والسياسي والاجتماعي لهذا النوع من الخطاب الإيديولوجي الاستعماري في أصله ومدى نجاح المترجم في نقله.

ختمنا الدراسة بنتيجة مفادها أن ماهية الترجمة لاتقع في نقل الكلمات ولا حتى التراكيب المترابطة بل الخطاب كاملا وأن من شروط تحصيل المترجم لكفاءة الترجمة ليس فقط ازدواجية اللغة ولكن معرفة بسياق النص ومحتواه التاريخي والثقافي والاجتماعي وحتى النفسي.

الكلمات الدالة: تقنيات الترجمة–الخطاب الاستعماري–كفاءات الترجمة –السياق وأنواعه–ماهية الترجمة.

Abstract

In this study, we analyzed our corpus according to the Jean-Paul Vinay and Jean Darbelnet classification theory, and we restricted it to the direct translation methods (borrowing and literal translation), given the shortcut nature to the study presented here. Accordingly, we tried to collect these techniques, providing the original text and its translation as presented without any change, with the technique used by the translator in each example and giving criticism, even briefly, on the translator choice.

We moved, in the last phase of the analysis, to the discourse analysis. For this purpose, we tried for each example to provide the historical and political and social context the text was stated inadvertent disclosure of colonial ideology in the originally language and see whether the translator has successfully transferred this colonial ideology through the translation strategy he chosen in this process. We have concluded that the translator, who provided the translation of such texts, do not require only bilingual knowledge, but requires also a skill and ability to build the original meaning of the text within the social, cultural, political and even psychological context where he was raised. In the translation process the translator does not transfer words or sentences in isolation, but rather discourses.

Key Words: Translation Techniques, Colonial Discourse, Translation Competence, Context, Rendering.

تختلف المناهج المستعملة في التحليل الترجمي باختلاف الميدان وطبيعة المدونة وجانب البحث، والمنهجان رئيسيان هما: منهج التحليل التقويمي ومنهج التحليل الوصفي، الذي يصف الخيارات التي أتيحت للمترجم والضرورات التي أملت عليه هذه الخيارات. في ظل هذا النوع من التحليل تؤخذ بعين الاعتبار الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية التي أثّرت على نشاط المترجم.

بخلاف التحليل الوصفي، يعمد الباحثون من خلال التحليل التقويمي إلى معالجة مشكلات النقل وصعوباته. حيث يقوم هذا المنهج على مفهوم التكافؤ بين النصين الأصلي والمترجم، لذلك يغلب عليه طابع الحكم على الترجمة ووصفها بأنها ترجمة أمينة أو ترجمة حرة أو ترجمة صحيحة أو ترجمة خاطئة، مع محاولة تقديم البدائل لما اقترحه المترجم. أو ل المنظرين اللذين انتهجوا هذا المنهج في التحليل هما جان بول **فيناي** (Jean p. Vinay) وجان **داربلني** (Jean Darbelnet)، اللذان عملا على تبيان أنه الأمثل في نقل النصوص، محددين بذلك مجموعة من المعايير لتقييم الترجمة.

في إطار دراستنا هذه عمدنا قبل الشروع في تحليل مدونتنا، إلى قراءة نصوصها أو لا والإطلاع على موضوعها وما تضمنته من أفكار رئيسية أو فرعية. وبغية الإدراك الحسن للمفاهيم والحقائق الواردة فيها، عمدنا إلى الاستعانة بمراجع جانبية، أهمها الكتب التاريخية والاجتماعية وحتى السياسية وكذا الشهادات التي أدلى بها من عاش هذه الفترة من أدباء وضباط ومفكرين سواء أكانوا جزائريين أم فرنسيين.

بعد ذلك شرعنا في التحليل حسب تصنيف المنظرين جان بول **فيناي** وجان **داربلني** واقتصرناه على أساليب الترجمة المباشرة (الاقتراض والنسخ والترجمة الحرفية) ذلك بالنظر إلى الطبيعة المختصرة للدراسة المقدمة والمتمثلة في المقال. وعليه فإننا حأو لنا رصد هذه التقنيات بتقديم النص الأصل والإشارة إلى اسم المؤلف وسنة الطبع ورقم الصفحة ثم أتبعناه (النص الأصل) بترجمته كما وردت بدون أي تصرف مع تحديد اسم المترجم ووضع خط تحت العبارات التي تحمل التقنيات المستخدمة أو المشار إليها في كل من النص الأصلي والترجمات، إذ قمنا باستعراض التقنيات المتواجدة في الأصل والترجمة. وعليه فقد كشفنا في كل نموذج عن التقنية التي استعملها المترجم مع تقديم نقد ولووجيز –عند الإمكان– للاختيار الذي لجأ إليه المترجم.

وانتقلنا في المرحلة الأخيرة من التحليل الترجمي إلى نوع آخر من التحليل وهو التحليل الخطابي ولهذا الغرض حاولنا بالنسبة لكل نموذج تقديم السياق التاريخي والسياسي والاجتماعي الذي جاء فيه النص الذي أُخذ

منه النموذج قصد الكشف عن الإيديولوجية الاستعمارية في لغة المتن ومعرفة ما إذا وُفق المترجم في نقل هذه الأخيرة من خلال الإستراتيجية الترجمية التي لجأ إليها في هذه العملية.

1- أساليب الترجمة المباشرة عند جان بول فيناي وجان داربلني :

يعتبر الكنديان **جان بول فيناي** و**جان داربلني** من أهم المنظرين في مجال الأسلوبية المقارنة والسباقين إليها. وقد اشتهرا من خلال مؤلفهما : *الأسلوبية المقارنة من الفرنسية إلى الإنجليزية (Stylistique comparée du français et de l'anglais)* 1958 حيث تناولا فيه بشكل منهجي الدراسة التقابلية لخصائص اللغتين الفرنسية والإنكليزية والتي من خلالها أدخلا مصطلح (stylistique comparée) الأسلوبية المقارنة إلى ميدان البحث الترجمي. ولقد ظل هذا الكتاب أحد المراجع المعتمدة إلى يومنا هذا، لأنه اتسم بالشمولية فقد تمكن المنظران من خلاله بالإلمام بمعظم التقنيات الخاصة بالوحدات الصغرى.

وقد عمد المؤلفان في كتابهما هذا إلى تصنيف مجموعة من أدوات النقل يلجأ إليها المترجم أثناء، قيامه بعملية الترجمة وأطلقا على هذه الأدوات مصطلح (procédés techniques) " الأساليب التقنية ". وقد صنفا هذه الأساليب إل صنفين رئيسيين هما: أساليب الترجمة المباشرة وأساليب الترجمة غير المباشرة. ورصدا في الصنف الأو ل ثلاثة أساليب هي الاقتراض والنسخ والترجمة الحرفية. أما في الصنف الثاني فقد جاءا بأساليب أربعة هي الإبدال والتكييف والتكافؤ والتحوير. وأكد على إمكانية تطبيق هذه الأساليب الرئيسية السبعة في ثلاثة مستويات وهي المعجم (le lexique) والتركيب (l'agencement) والرسالة (le message) .

كما سبق الإشارة إليه فإن دراستنا سوف تقتصر على الصنف الأو ل من أساليب الترجمة.

1-1 الاقتراض (l'emprunt)

يرى **جان بول فيناي** و**جان داربلني** أن الاقتراض هوأبسط الأساليب على الإطلاق، حيث أنه يعبر عن فراغ تعرفه لغة الهدف في معجمها، إذ يحدث أحيانا ألاّ تتوفر هذه اللغة على مقابلات للكلمات الواردة في لغة المتن فيضطر المترجم إلى اقتراض الكلمات كما وردت في لغة المتن وإقحامها في لغة الهدف ويرى المنظران بأن الاقتراض لا يرقى في الواقع لأن يكون أسلوبا ذا أهمية، إلا في حالة ما إذا كان المترجم لجأ إليه عمدا بغرض إحداث أثر أسلوبي في الترجمة من خلال إقحام عنصر أجنبي في نصها. ويعد هذا الأسلوب طريقة إيجابية وعلمية لإثراء اللغات، وخاصة غير المنتجة علميا وتكنولوجيا، عن طريق الاحتكاك والأخذ من حضارات وثقافات أخرى.

2-1 النسخ (le calque)

يمثل النسخ عند **جان بول فيناي** و**جان داربلني** أحد أنواع الاقتراض:

« Un emprunt d'un genre particulier : on emprunte à *la langue étrangère le syntagme, mais on traduit littéralement les éléments qui le composent. »* [1] (Vinay & Darbelnet, 1958 : 47)

أي أن النسخ : " هو اقتراض من نوع خاص : إذ يُقترض من اللغة الأجنبية مقطع، ولكن تترجم العناصر المكونة له ترجمة حرفية." (ترجمتنا)

وحسب المنظرين يجب التمييز بين نوعين من النسخ : النسخ التعبيري (calque d'expression) والنسخ البنيوي (calque de structure). حيث يقوم المترجم في النسخ التعبيري باحترام قواعد وتراكيب لغة الهدف مع إدراج طابع تعبيري جديد لم تكن هذه اللغة تعرفه، كترجمة **أحمد بكلي** للتركيب الاسمي la légion d'honneur (le syntagme nominal) بـ "*جوقة شرف*" ، حيث احترم قواعد اللغة العربية ولكن جاء في أسلوب تعبيري غير مألوف فيها.

أما في النسخ البنيوي فيعمد المترجم فيه إلى إدراج بنية جديدة في لغة الهدف وذلك كأن ينقل الاسم المركب (science-fiction) إلى الفرنسية ونعلم أن هذه الأخيرة لا تعرف هذا النوع من التركيب [2] .(Venuti Lawrence, 2000: 85)

1– 3 الترجمة الحرفية (traduction littérale)

تتمثل الترجمة الحرفية حسب **فيناي** و**داربلني** في النقل الحرفي لمقطع ورد في لغة المتن وذلك عن طريق استبدال الوحدات اللسانية في النص الأصلي بنفس عدد الوحدات في النص الهدف للحصول على نص صحيح من الناحية التركيبية وكذا مقبول من الناحية الدلالية دون الإخلال بمضمون النص الأصلي. ويشير المنظران إلى الترجمة الحرفية بقولهما:

« La traduction littérale ou mot à mot désigne le passage de LD à l'aboutissant à un texte à la fois correct et idiomatique sans que le traducteur ait eu à se soucier d'autre chose que des servitudes linguistiques. » [3] (Vinay et Darbelnet, 1958 : 48)

بمعنى أن : " الترجمة الحرفية (...) هي ذلك الانتقال من لغة الأصل إلى لغة الهدف بإنتاج نص صحيح ومقبول من هذه اللغة دون أن يُعنى المترجم بشيء آخر سوى بالقيود اللغوية. " (ترجمتنا)

2- النماذج :

2-1 نماذج من الاقتراض:

النموذج الأول:

بعد سقوط مدينة الجزائر واستسلام الداي **حسين**، لم تُحترم الوعود الرسمية خاصة منها تلك المتعلقة بالشؤون الدينية والعقائدية. وحسب المؤرخ المختص في تاريخ الجزائر **أجرون Ageron**، الذي استشهد بالتحقيق الرسمي الذي أنجزه **دوفول Devoulx** سنة 1865، فإن المائة والاثنين والثلاثين مسجدا، الصغير منها والكبير، التي كانت موجودة في الجزائر العاصمة قبل عام 1830، لم يبق منها سوى إثنا عشر مسجدا. فقد تم تدميرها أو تحويلها إلى ثكنات ومستشفيات وإسطبلات وحمامات عمومية ودكاكين وأديرة وكنائس أو أماكن مخصصة لراحة المحاربين، كما هو الشأن بالنسبة لمسجد سيدي هلال. إذ أن مرسومي 7 سبتمبر و9 ديسمبر 1830 ألحقا بأملاك الدولة الفرنسية جميع مداخيل المؤسسات الخيرية والثقافية التي كانت تستخدم في الخدمات العمومية وصيانة البنايات العمومية، كالمساجد والمدارس ودفع أجور الأئمة والأساتذة وأمور أخرى، حيث كان لها نفس دور بيت مال المسلمين. وعندما كتب سيدي **حمدان خوجة** يشتكي من الحالة المزرية التي آلت إليها الأملاك والعباد ردّ عليه المارشال **كلوزال Clauzel** قائلا:

« De quoi vous plaignez-vous ? (...) Que faisiez-vous des revenus des habous ? Vous alliez en pèlerinage pour en ramener la peste.» [4] (Michel Habart, 2009 : 40)

ترجمة عبد الرزاق عبيد: "مما تشتكون؟ (...) ماذا ستفعلون بمداخيل الحبوس؟ تذهبون بها إلى الحج لتعودوا بالطاعون. "

على الرغم من أنه ليس المترجم من استخدم تقنية الاقتراض بل العكس فمن استعملها هو الكاتب، إذ اقترض الكلمة العربية الحبوس ثم كيفها مع القواعد الصوتية والكتابية للغة الفرنسية فصارت *habous*، إلا أننا احتفظنا بهذا النموذج تمثيلا للاقتراضات الكثيرة التي لجأ إليها الكتّاب الفرنسيون وهذا لعدم توفر المكافئ الدقيق في اللغة الفرنسية للتعبير عن عادات أو حقائق ثقافية في الحضارة الجزائرية لا وجود لها في المجتمع والمعتقد الغربي.

النموذج الثاني:

يُعد الماريشال **غاندون Randon** من أشد المتحمسين للاستيطان وإخلاء الأراضي الأكثر خصوبة من الأهالي لتقديمها إلى الأو ربيين القادمين إلى المستعمرة حيث يقول في هذا السياق:

« Refouler les Arabes et s'emparer de leurs territoires suivant la méthode yankee. » [5](Michel Habart, 2009 : 65)

ترجمة عبد الرزاق عبيد : *" طرد العرب والاستيلاء على أراضيهم على الطريقة اليونكية."*

اقترض المترجم الكلمة *yankee* حيث نقلها نقلا صوتيا إلى اللغة العربية ثم قام بإخضاعها لقواعدها وذلك بإضافة (ية) وهي نهاية تأنيثية عربية مشتقة من المصدر الصناعي، مما أعطى : اليونكية. *إلى* جانب استخدامه لأسلوب انتقال الفئة وذلك عن طريق إضافة "ال" التعريف إليها. والكلمة في الأصل كلمة إنجليزية إلاّ أن المترجم لم يقم بتوضيحها مما قد يجعلها غامضة في ذهن الناطق باللغة العربية. وكان الأجدر به أن يفسرها داخل النص أو في حاشية أسفل الصفحة.

النموذج الثالث:

بعد تمكن **بومعزة** من بعث الثورة في المناطق الجبلية المحيطة بالشلف، رغم قناعة الفرنسيين من أن هذه الناحية خاضعة لهم تماما، بدأت تتعالى بفرنسا الأصوات المعارضة لسياسة الجنرال **بيجو(Bugeaud)** وخاصة تلك التي كانت تصف هذه الأخيرة بالفاشلة. رد فعل الجنرال كان رسالة 11 جوان 1845 التي بعث بها إلى ضباطه يأمرهم فيها بالتصرف بدون شفقة أمام "تعصب" الأهالي. فبخصوص سكان منطقة الظهرة الذين يلجؤون إلى المغارات عند إحساسهم بالخطر كتب **بيجو**:

:« Si ces gredins se retirent dans leurs cavernes, imitez Cavaignac : fumer-les à outrance comme des renards ». [6] (Maspero, 2004 : 205)

ترجمة أحمد بكلي : *" إذا انسحب هؤلاء الأو غاد إلى مغاراتهم فافعلوا بهم مثلما فعل "كافينياك" من قبل: أخنقوهم بالدخان الكثيف مثل الثعالب "*

اقترض المترجم الاسم *Cavaignac* حيث نقله نقلا صوتيا إلى اللغة العربية مما أعطى: *"كافينياك."* لقد احتفظنا بهذا النموذج تمثيلا للأمثلة العديدة الموجودة في مدونتنا لأسماء العلم المنقولة صوتيا إلى اللغة الهدف مع

إخضاعها لقواعدها الصوتية والكتابية حينما يتعلق الأمر بلغتين مختلفتين في الأبجدية كما هوالحال بالنسبة للغتين العربية والفرنسية.

النموذج الرابع:

هذه العبارات للضابط والدوق **روفيغو Rovigo**:

« Des têtes ... apportez des têtes, bouchez les conduites d'eau crevées avec la tête du premier Bédouin que vous rencontrerez. » (7) (Maspero, 2004 : 9)

ترجمة أحمد بكلي : " إليّ بالرؤوس... هاتوا لي الرؤوس، سدّوا قنوات المياه المعطوبة بواسطة رأس أو ل بدوي تقع عليه أيديكم."

نلاحظ في هذا النموذج أن الكاتب هومن جاء بالاقتراض، إذ أن الكلمة *Bédouin* هي كلمة ذات أصول عربية (اشتقت من الكلمة العربية بدوي) اقترضت من اللغة العربية ثم كيفت لفظا وكتابة وصارت مكرسة في القاموس الفرنسي وجزء لا يتجزأ منه. للإشارة فإن هذه الكلمة الفرنسية تحمل معنا تحقيرياً حيث أطلقت على المتمردين في ثورة فبراير 1848 Les Bédouins de Paris (بدوباريس) والذين طبقت عليهم نفس طرائق التعذيب والاضطهاد المطبقة آنذاك في المستعمرة لأن جيش إفريقيا (الجيش الاستعماري الغرنسي) هومن كُلف بمهمة ضبط الأمن والاستقرار في العاصمة باريس وعلى رأسه الجنرال **بيجو**(Bugeaud) مدعما **بلمورسيار** (**Lamoricière**)و**سانت آرنو** (**Saint-Arnaud**). وبعد الانتهاء من مهمة إثبات الأمن بالقضاء نهائيا على حركة " المتمردين : بدوباريس" كان مصير من نجا من المقصلة منهم النفي إلى إحدى المستعمرات الفرنسية في المحيط الهادي: أرخبيل كاليدونيا الجديد.

النموذج الخامس:

في هذا النموذج الأخير من الاقتراض، نلاحظ جليا أن ترجمة الخطاب الاستعماري عموما لا تخلومن أسلوب الاقتراض، من وإلى العربية والفرنسية والتركية ولغات أخرى كانت تحتك بها، كما هوالحال بالنسبة للكلمة *zéphyrs* التي اقترضها المترجم أحمد **بكلي** من النص الأصلي دون أي تغيير في العبارة التالية للجنرال **كانروبار** : (Canrobert)

« (...) Quant aux bataillons d'Afrique, les zéphyrs, rien n'est plus immoral... de pareils bandits ne devraient pas être placés dans un pays que l'on veut coloniser » (8) (Maspero, 2004: 110)

ترجمة أحمد بكلي: " أما بخصوص كتائب جيش إفريقيا، المعروفة باسم *les **zéphyrs*** فهي فرق لا أخلاق لها... لا ينبغي إرسال مثل أو لئك الصعاليك إلى بلد نرغب في تحويله إلى مستعمرة. "

وقد أبقى المترجم على الكلمة كما وردت في الأصل بحروفها اللاتينية ولم يكيفها حتى مع القواعد الصوتية للغة العربية كما جرت العادة عند القيام بعملية الاقتراض. للإشارة فكلمة *zéphyrs* تطلق على كتائب المشاة الخفيفة لإفريقيا (Les bataillons d'infanterie légère d'Afrique BILA) المعروفة بـ (**Bat d'Af**) وهي وحدات القوات البرية الفرنسية. وخلافا للاعتقاد الشائع، فإن هذه الوحدات غير منظمة بالمعنى الدقيق للكلمة. إذ كانت تضم في صفوفها شبان أدينوا في الحياة المدنية أو أثناء أداء الخدمة العسكرية أو عسكريون معاقبون. وقد "تميزوا بشجاعتهم" في معركة مزغران بمنطقة مستغانم في 6 فبراير 1840 حيث صار هذا اليوم عيد لهم، يحتفل به كل سنة. ولعل القارئ لهذه الأسطر يتنبه إلى الفلسفة الاستعمارية التي كانت منتهجة ضد الأهالي في المستعمرة، أين تسند المهام العسكرية أو المدنية، بما في ذلك الاستيطان، إلى حثالة القوم.

2–2 نماذج من الترجمة الحرفية:

النموذج الأول:

يقول رئيس لجنة التقصي العلمية الجنرال **بوري دوسانت فانسون** -**Vincent Bory de Saint**، الذي يعتبر مصدرا رسميا موثوقا، في تقرير له عن عدد سكان الجزائر:

*« Je maintiens et je soutiendrai quand il le faudra, que l'Algérie toute entière ne compte pas 1 200 000 âmes, dont la moitié pour Constantine. Mettez donc 300 000 femelles, 200 000 enfants et vieillards, et 1000 adultes éparpillés sur une surface égale à celle de la France. Et c'est de ces **moustiques** mal armés, inconstant, lâches et malpropres que la France ne peut venir à bout...avec ses 80 000 soldats ? »* (9) (Michel Habart, 2009 : 61)

ترجمة عبد الرزاق عبيد : " ألح وأأكد عندما يقتضي الأمر أن الجزائر بأكملها لا تحتوي إلا على 1200000 نسمة، نصفهم في قسنطينة. احسموا منهم 300000 أنثى، و200000 طفلا وعجوزا و1000000 بالغا منتشرين على

مساحة مساوية لمساحة فرنسا. أبسبب هذا **البعوض** السيئ التسليح، المتقلب، الجبان والقذر لن تستطع فرنسا أن تصل معه إلى النهاية... بجنودها 80000 ؟"

قابل المترجم في هذا النموذج كل كلمة في النص الأصل بما يقابلها في النص الهدف فجاءت الترجمة واضحة وملمة للمعنى إلى حد توفيق المترجم في نقل الإيديولوجية الاستعمارية الكائنة في الرسالة.

والملاحظ في هذا المقطع هوإنزال الأهالي من مرتبة الإنسان إلى مرتبة الحيوان عند بعض المفكرين والباحثين الفرنسيين وبعدها إلى درجة الحشرات، كما فعل الجنرال **بوري دوسانت فانسون** -**Bory de Saint Vincent** عندما شبههم بالبعوض. والتعبير هنا قوي والإيديولوجية التي يحملها خطيرة واختيار حشرة البعوض في هذا التشبيه هادف، لأن البعوض حشرة تتغذى من دم الإنسان والحيوان وناقلة لبعض الأو بئة كحمى المستنقعات والفُيال وأمراض أخرى، وتشبيه الأهالي بها ما هوإلا دليل على إحساس الاحتقار الذي يُكنه هذا الجنرال وأمثاله للسكان الأصليين للمستعمرة.

النموذج الثاني:

مونتانياك (**Montagnac**) من أشد ضباط إفريقيا تعصبا، حيث كان ينادي بضرورة التخلص من الأهالي بإجلائهم إلى جزيرة مدغشقر وفي انتظار تطبيق هذه الفكرة من قبل السلطات لبث متمركزا على الحدود المغربية تحت إمرة **كافينياك** (**Cavaignac**) ينتظر ظهور الأمير **عبد القادر**. وعندما يشعر بالكآبة يأمر بما يلي:

« *Pour chasser les idées noires qui m'assiègent quelquefois, je fais couper des têtes, non pas des têtes d'artichauts, mais des têtes d'hommes.* » (10) (Maspero, 2004 : 213)

ترجمة أحمد بكلي: " لكي أطرد عني الأفكار السوداء التي تحاصر تفكيري أحيانا فإنني آمر بقطع بعض الرؤوس وليست رؤوس الخرشوف ولكن رؤوس البشر . "

قابل المترجم في هذا النموذج كل كلمة في النص الأصل بما يقابلها في النص الهدف فجاءت الترجمة واضحة وملمة للمعنى. لكن حبذا لوقابل المترجم الكلمة *d'artichauts* في لغة المتن بالكلمة " قرنون " في لغة الهدف لأنها أقرب للواقع اللساني الجزائري الذي ظهرت فيه هذه الترجمة وتفاديا للالتباس لأن كلمة "خرشف" موجودة في اللهجة الجزائرية إلا أنها تطلق على نوع آخر من الخضر.

والملفت للانتباه في هذا المقطع هو الاحتقار للآخر ونكران وجوده كإنسان. وهذا النوع من الخطاب غير مقتصر على الخطاب العسكري بل نجده حتى في الخطاب الأدبي، ويمكن الاستشهاد بمقطع من رواية **إميل زولا Zola** *الأرض La Terre* أين يسرد ذكريات ريفيين شاركا في غارات عسكرية في الجزائر:

« (…) des oreilles de Bédouins coupées et enfilées en chapelets, des Bédouines [...] pincées derrière les haies et tamponnées dans tous les trous. »

بمعنى: " آذان البدوالتي قطعت وركبت في شكل عقد، وذكريات عن النساء اللواتي تم اغتصابهن ".

نلاحظ أنه حتى الجثث لم تنج من انتهاكات المستعمر، فالتمثيل بالأموات عن طريق الظفر بأشلائها وتقطيع أجزائها وعرضها بكل فخر، ما هوإلا تأكيد على تصور المستعمر الفرنسي للغيرية الأهلية، وهوتصور سلبي وعدائي للآخر يبيح مطاردته وصيده كالحيوان المفترس ثم التمثيل بما بقي منه. وبالتالي فإن صفة الإنسانية قد نزعت من المستعمَر وكذا هويته، فجثته من دون رأس مجهولة ومنه فالأموات ممنوعون من الراحة الأبدية والأحياء من الحداد على موتاهم. وحين نعلم أن الموت عند المسلمين أو بالأحرى الاستشهاد في الحرب ضد الكفار تضفي على الميت جلالا كبيرا وأن الشهيد يعد حيا عند الله إذ يقول عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾**﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فالمستعمر بممارساته هذه يريد "منع" الميت من الارتقاء إلى درجة البطل الشهيد، الذي استشهد في الحرب ضد الكافر، التي منحها إياه دينه.

وهذه الضراوة ليس المقصود منها الأموات فقط بل الأحياء أيضا، فهي تعتبر من بين الإجراءات الردعية الفعالة. وفي الوقت الذي لم تعد فيه الحضارة الغربية تقبل التجأو زات التي من شأنها المساس بكرامة الإنسان في أو ربا، كل شيء في المستعمرة قد صار مباحاً وبهذا نسجل العودة إلى عصور مضت، كانت البربرية فيها سيّدة الموقف آنذاك.

النموذج الثالث:

كتب **سانت أرنو**(**Saint-Arnaud**) إلى أخيه بعد انتصاره على **بومعزة** في 13 أفريل 1847 يقول:

«Bou Maza est entre mes mains…Il est ici depuis deux heures. C'est un et beau jeune homme ! Nous nous sommes regardées dans le blanc des yeux… J'ai ses pistolets que je te donnerai et son chapelet pour ma sœur.» [(11)] (Maspero, 2004 : 225)

ترجمة أحمد بكلي : " لقد وقع بومعزة بين يدي... إنه هنا منذ ساعتين، إنه شاب أبي النفس وسيم الوجه! تقاطعت نظراتنا فحدّق كلانا النظر في الآخر... مسدساته بحوزتي وسوف أمنحك إيّاها وسأبعث إليك سبحته لتقدمها إلى أختي."

قابل المترجم في هذا النموذج كل كلمة في النص الأصل بما يقابلها في النص الهدف فجاءت الترجمة واضحة وملمة بالمعنى. وهنا نرى الأحكام المتناقضة، يكون القصد منها الإنقاص من شأن العدوتارة لإثارة مشاعر الكراهية ضدّه، وتارة أخرى يكون القصد الرفع من منزلته لإبراز مكانة الخصم لذاته، إذ أنه مهما كانت قوة المغلوب وشجاعته فمن البديهي أن يكون الغالب أقوى وأشجع.

النموذج الرابع:

في هذا المقطع يصف **سانت آرنو**معركة 14 أكتوبر 1837 التي سقطت إثرها مدينة قسنطينة بعد مقأو مة شرسة فقد فيها الجيش الفرنسي أحد أكبر ضباطه النقيب **كومب** (**Combes**)، قائلا:

« Quand je me rappelle ces figures brulées, ces têtes sans cheveux, sans poils et dégoutantes de sang, ces vêtements en lambeaux, tombant avec les chairs, quand j'entends ces cris lamentables. » (Maspero, 2004 : 95)

ترجمة أحمد بكلي : " عندما أستحضر في ذاكرتي صورة تلك الوجوه التي شوّهتها الحروق، وتلك الرؤوس التي احترق شعرها وهي تنزف دما، وتلك الثياب الممزقة والمتساقطة إربا مع قطع الجلود، وعندما ترنّ في مسمعي أصداء تلك الصيحات المروّعة."

جاءت ترجمة **أحمد بكلي** لهذا المقطع ترجمة حرفية وُفق من خلالها في الإبقاء على مضمون وبنية النص الأصلي، وبالتالي جاءت الترجمة صحيحة وملمة بالمعنى.

النموذج الخامس:

في هذا المقطع يصف **سانت آرنو** كذلك معركة 14 أكتوبر 1837 التي سقطت إثرها مدينة قسنطينة بعد مقأو مة شرسة فقد فيها الجيش الفرنسي أحد أكبر ضباطه النقيب **كومب** (**Combes**)، قائلا :

« Quel carnage, le sang faisait nappe sur les marches. Pas un cri de plainte n'échappait aux mourants (...) Les Turcs cherchaient peu à se sauver (...) J'ai fixé bien de ces terribles et poétiques

figures de mourants qui me rappelaient le beau tableau de la bataille d'Austerlitz. »[12] (Maspero, 2004 : 95)

ترجمة أحمد بكلي: "ويا للمذبحة، كانت بقع الدم تغطي الدّرج. لم تكن تتصاعد من حناجر المحتضرين أنّات ولا شكوى (...) لم يكن الأتراك يحأو لون الفرار إلا نادرا (...) حدّقت النظر في تقاسيم وجوه المحتضرين وما يشعّ فيها من تعبير أسطوري عن الأهوال التي تذكرني باللوحة الرائعة المخلّدة لمعركة استرليتز ."

قابل المترجم في هذا النموذج كل كلمة في النص الأصل بما يقابلها في النص الهدف فجاءت الترجمة واضحة وملمة بالمعنى في أسلوب سلس ومشوق.

إلاّ أن ما فات المترجم هوتقديم توضيح أو شرح داخل النص أو خارجه للتعريف بمعركة **استرليتز** (***Austerlitz***) التي تعتبر من أكبر معارك القرن التاسع عشر والتي سميت كذلك بمعركة الأباطرة الثلاث (la bataille des trois Empereurs) لأن كلاً من إمبراطور روسيا ألكسندر الأو ل (Alexandre 1er) وإمبراطور النمسا **فرانسوا الثاني (François 2)** وإمبراطور فرنسا **نابليون الأو ل (Napoléon 1er)** قد شاركوا فيها. وقد وقعت في الثاني من ديسمبر 1805 وهوتاريخ مهم في ذاكرة الشعب الفرنسي لأنه يمثل يوم انتصار عظيم لنابليون ويوم نصب **نابليون الأول (Napoléon 1er)** وابن أخيه كذلك **نابليون الثالث (Napoléon 3)** إمبراطورين على فرنسا. وغالب الضن أن هذا الاسم **استرليتز** (*Austerlitz*) سيبقى غامضا في ذهن المتلقي العربي غير المطّلع على حضارة فرنسا وتاريخها.

النموذج السادس:

انظر السياق الذي جاء فيه المقطع السابق:

« Le Turc tomba percé de vingt coups de baïonnettes, car chaque soldat lui lançait son coup. Je pris le sabre dont il m'avait menacé. Tout le temps que les cadavres restèrent dans les rues, on s'arrêtait involontairement devant celui-là, qu'on admirait comme un type d'expression militaire, de colère et de menace. »[13] (Maspero, 2004 : 95)

ترجمة أحمد بكلي : " لقد سقط التركي وأصيب جسده بعشرين طعنة رمح، فلقد رماه كل جندي بضربة منه. طالما ظلّت الجثث ملقاة على قارعة الطريق، لم نكن نتمالك عن إلقاء نظرة مهيبة على جثمان ذلك التركي. كنا ننظر إليه كنمط من أنماط التعبير العسكري الغاضب والمنذر. "

جاءت ترجمة **أحمد بكلي** لهذا المقطع ترجمة حرفية وُفق من خلالها في الإبقاء على مضمون النص الأصلي وبنيته، وبالتالي جاءت الترجمة صحيحة وملمة بالمعنى.

ولا يقتصر سرد مثل هذه الوقائع على الخطاب الاستعماري بل يمتد حتى إلى الخطاب الأدبي، إذ يروي **أو جان فرومنتان (Eugène Fromentin)** أحداث الاستيلاء على مدينة الأغواط التي تم تخريبها عن آخرها، حيث كان أو ل مدني يدخلها ولم تمض سوى أسابيع قليلة على الواقعة. و**فرومنتان** هورسّام وكاتب ويعّد كتابه: *صيف في الصحراء (Un Eté au Sahara)* من أحلى كتب الأسفار في الأدب العالمي، يسرد فيه كيف تم الاستيلاء على الأغواط، إذ يقول:

« Sur les deux mille et quelque cent cadavres que l'on releva les jours suivants, plus des deux tiers furent trouvés en ville... On marchait dans le sang ; les cadavres empêchaient de passer... On dit que pendant longtemps la ville sentait la mort (...) Quand on eut enfoui tous les morts, il ne resta plus personne dans la ville (...) Les survivants avaient pris la fuite. Les chiens eux-mêmes, épouvantés (...) émigrèrent en masse et ne sont pas revenus. »

بمعنى : " في الأيام التي تلت نهاية المعارك تمّ جمع ألفين وبعض المئات من الجثث وكان ما يربوعلى ثلثي ذلك العدد في المدينة، فكان الناس يسيرون وسط الدماء وكانت الجثث المتراكمة تحول دون المرور، يقال إن المدينة كانت نتنة برائحة الموت مدة طويلة (...) عندما تم دفن الموتى، خلت المدينة من الناس (...) أما من بقي من الأحياء فقد لاذوا بالفرار، وحتى الكلاب هجرتها جماعة دون رجعة بعد أن روّعت بما شاهدت. " (ترجمتنا)

النموذج السابع:

في السنة الأولى للغزو كان كلٌ في موقعه يثني على غزو فرنسا المسيحية لإيالة الجزائر، فرجال الدين اعتبروه بمثابة فتح لإفريقيا بأكملها، إذ يقول أسقف مدينة مرسيليا أمام قواعد الجيش :

« ...de ces lieux que Saint Louis du haut du ciel, nous invite à *conquérir pour y faire renaître l'Eglise d'Afrique. »* **(14)** (Michel Habart, 2009 : 22)

ترجمة عبد الرزاق عبيد: *" تلك الأماكن التي يدعونا إليها القديّس لويس من السماء لنغزوها من أجل إحياء الكنيسة الإفريقية "*

لجأ المترجم في هذا النموذج إلى تقنية الترجمة الحرفّية، إلا أننا على يقين أن جزء كبيرا من الرسالة المراد إبلاغها قد فُقد وهذا راجع إلى عدم إدراج المترجم لإضافات قد تثري المعنى. فالقارئ الجزائري عموما وخاصة الشاب منه غير الملم بالثقافة الفرنسية وتاريخها، يمكن أن تغيب عنه بعض المعاني. إذ أن ذكر المؤلف لشخصية تاريخية ودينية وكذا سياسية كالقديس **لويس** (Saint-Louis) لم يكن دون قصد. هذا الأخير كان ملكا لفرنسا خلال القرن الثالث عشر الميلادي وقد قاد الحرب الصليبية السابعة وبعدها الثامنة أين توفي بتونس بداء الطعون. فغزو الجزائر يعتبر من قبل بعض المسيحيين المتعصبين بمثابة أخذ الثأر للملك القديس.

كما أن المقصود بالكنيسة هنا، هو الجزائر المسيحية أو بالأحرى كل شمال إفريقيا المسيحي الذي كان عبارة عن مستعمرة تابعة للإمبراطورية الرومانية، وخاصة خلال الفترة التي كان فيها القدّيس **أو غستان** (Saint-Augustin) الجزائري من أشد المدافعين على دين الإمبراطورية بمواجهته العنيفة للطريقة الدوناتية (le Donatisme) التي انتشرت بقوة أثناء تلك الفترة في المقاطعة الإفريقية وبالتحديد في ما يعرف اليوم بالجزائر. فبدون كل هذه الإيضاحات والتفاصيل لن يستطيع المتلقي فهم الرسالة التي يتضمنها هذا المقطع.

النموذج الثامن

في هذا المقطع للجنرال **سانت آرنو(Saint-Arnaud)**، قام المترجم **أحمد بكلي** بترجمة حرفية إلى اللغة العربية، حيث يتضح جليا التغيير الذي طرأ في ترتيب الكلمات على مستوى العبارات المسطرة في نص الترجمة.

: « Le drôle de peuple ! Ce matin j'ai rossé un Arabe qui m'avait coudoyé et répondu insolemment. Il a reçu mes coups avec autant de fierté que si c'était lui qui me les avait donnés. » (15) (Maspero, 2004 : 123)

ترجمة أحمد بكلي : " ما أغرب هذا الشعب ! في صباح اليوم، ضربت أحد العرب ضربا مبرّحا لأنه لمسني بمرفقه ولكنّه ردّ علي بوقاحة، وتلقّى ضرباتي بأنفة كبيرة وكأنه هو الذي ضربني."

يتبين مما سبق، أنه فيما يخص التحليل الترجمي، تم توظيف أسلوب الاقتراض في ترجمة الكلمات التي لها وقع خاص منها الألقاب ذات الدلالة المحلية والثقافية، وأسماء الأماكن والمؤسسات. وقد أرفقت بعضها بهوامش سفلية في حين بقي الكثير منها مبهما يحتاج إلى شرح وتوضيح. والواقع أن هذه التقنية قد وُظفت أحيانا بطريقة غير واعية عندما يكون الاقتراض قد اندمج في اللغة وأصبح ثابتا في معجمها، فلم يعد هناك فرق بينه وبين

الوحدات المعجمية الأخرى المكونة للمعجم إلا من حيث الأصل. أما فيما يخص الترجمة الحرفية فقد لجأ المترجمون إليها كثيرا. حيث رُصد هذا الأسلوب في مواضع عديدة، وقد شمل فقرات بأكملها مع إرفاق بعض الإضافات التي لم تُخل بمعنى العبارة. وعليه فإن توظيف التقنيات يتأثر بتباين لغتي المتن والهدف في بنائهما الجملي وتباعدهما من حيث الأصل كالفرنسية التي تنتمي إلى مجموعة اللغات الرومانية والعربية التي تنتمي إلى عائلة اللغات السامية.

بالنسبة للشطر الثاني من التحليل وهو المتعلق بالتحليل الخطابي فقد خلصنا فيه إلى أن الترجمة لم توفق، إلى حد ما، في نقل الإيديولوجيا الكامنة في النص الأصلي إلى لغة الهدف ويرجع ذلك في أغلب الأحيان إلى تقيد المترجمين بالنص الأصلي تقيدا كبيرا.

وما يمكن قوله هنا هو أن المترجم المقدم على ترجمة مثل هذه النصوص لا يشترط فيه الإلمام باللغتين فحسب، وإنما يشترط فيه أن يكون ذا مهارة وقدرة على بناء معنى النص الأصلي في إطار سياقه الاجتماعي والثقافي والسياسي وحتى السيكولوجي الذي نشأ فيه . فالموقف قد يتشابه لكن طريقة التعبير عن هذا الموقف تختلف من مجتمع لآخر. ففي عملية الترجمة لا ينقل المترجم كلمات أو جملاً منعزلة وإنما خطابات. إذ يفترض أن يبحث المترجم في مقصودية الكاتب حتى يتسنى له أن ينقل الخطاب بأمانة وأن يحدث لدى متلقي النص المترجم، تأثيرا مماثلا لذلك الذي أحدثه النص الأصلي على قارئه.

من كل ما سبق يمكن الجزم بأن الترجمة "الجيدة " هي تلك الترجمة التي تفي بنفس الغرض الذي أُفصح عنه، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في اللغة التي كُتب بها النص الأصلي . وينطبق الشيء ذاته على المترجم، فلا يسعى إلى نقل المعنى الحرفي فحسب وإنما يسعى إلى الوصول إلى أصدق إحساس ممكن للنص الأصلي. إذ يجب أن تصل إلينا السمات والمواقف والانعكاسات بالشكل نفسه الذي كانت عليه في الأصل، ذلك أنه إذا لم تقم الترجمة بالوظيفة الإيصالية، فإنها في هذه الحالة لا تكون قد بررت وجودها.

الهوامش:

(1)Vinay Jean-Paul et Jean Darbelnet., *Stylistique comparée du français et de l'anglais : méthode de traduction*, Paris/Montréal, Didier/Beauchemin, 1958, P 47

(2)VENUTI Lawrence., *The Translation Studies Reader*, Londres, Routledge, 2000, P 85.

(3)Vinay Jean-Paul / Jean Darbelnet, P 48.

(4)M. Habart, *Histoire d'un parjure,* Alger, E.N.A.G, 2009, P 40.

(5)M. Habart, P 65.

(6)M. Habart, P 205.

(7)M. Habart, P9.

(8)François Maspero, *L'Honneur de Saint-Arnaud,* Alger, Casbah, P 110 2004.

(9)M. Habart, P 61.

(10)François Maspero, P 2013.

(11)François Maspero, P 225.

(12)François Maspero, P 95.

(13)François Maspero, P 95.

(14)M. Habart, P 22.

(15)François Maspero, P 123.

المراجع:

Vinay Jean-Paul et Jean Darbelnet., *Stylistique comparée du français et de l'anglais : méthode de traduction*, Paris/Montréal, Didier/Beauchemin, 1958.

VENUTI Lawrence., *The Translation Studies Reader*, Londres, Routledge, 2000.

M. Habart, *Histoire d'un parjure,* Alger, E.N.A.G, 2009.

François Maspero, *L'Honneur de Saint-Arnaud,* Alger, Casbah.